مجلة المرابط

العدد : ٢٢٥ الموافق في ذو القعدة ١٤٢١ هجري ٢ / ٢٠٠١ ميلادي

عنوان المقال : الوقت في حس المسلم	بقلم : د. صلاح الدين النكدلي

أنصتُّ إلى خطيب الجمعة وهو يتحدث عن قيمة الوقت من الناحية الشرعية ، وعند مفكري الأمم الأخرى ، وبيَّن ببراعة أن الإنسان لا بد وأن يشغل وقته بعمل ما ، وأن المسلم مسؤول عن نوعية عمله ، وذكَّر بقول الله تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** } [الحشر : ١٨] وقوله تعالى : { **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنْ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ** } [آل عمران : ١٨٥]

وأشار إلى ما ورد في هدي النبي ﷺ مثل : « **لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ...** » ومن جملتها : « **وعن عمره فيمَ أفناه ؟** »

فطاف بي ما سمعت في أرجاء الساحة الإسلامية على امتداد الأرض ، فاجتاحني حزن عظيم على الأوقات التي تُهدر ولا يشغلها القادرون بأعمال تبارك العمر وتزكي النفس وتُنهض المسلمين .

لقد تذكرت الواجبات التي يرونها بأبصارهم ، وتطرق آذانهم ، وتناديهم بقول الله عزَّ وجلَّ يحمل تهديداً ووعيداً تتخلع لهما القلوب الواعية : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ ۞ إِلا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** } [التوبة : ٣٨-٣٩] ، وقوله تعالى : { **...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ...** } [المائدة : ٢] ومع ذلك فإنهم لا يتحركون - كما ينبغي - باتجاه الواجبات الجماعية ..

وحتى لا يبقى هذا الكلام عاماً فإنني ذاكرٌ أموراً من واقع التجربة :

الإسلاميون والفضائيات :

جذبتْ الفضائيات العربية إلى برامجها المثيرة أعداداً كبيرة من أبناء الحركة الإسلامية وغيرهم ، وأنا لست من الذين يرفضون النظر في الفضائيات ، ولكنني أحذر من **الإسراف** في الجلوس إلى برامج

تفتك بأوقاتنا ، وتسحبنا من واجباتنا ، ولا تزيدنا وعياً ولا إدراكاً ، ولا تولد عندنا الشعور بالمسؤولية العملية .

وأضرب مثلاً صارخاً بانتفاضة الأقصى المبارك ، فمتابعة أخبارها والبرامج التي تتحدث عنها أمر حسن ، ولكن كيف نتعامل مع الأخبار ؟ وما هي البرامج التي نهتم بها ؟ ومتى ؟

أولاً : الأخبار مكرورة في معظمها ، ويكفي أن يستمع المرء إلى نشرة واحدة ليقف على ما يجري ، فتكرار الاستماع يولد شعوراً كاذباً بـ " المتابعة " وتكون نتيجته استهلاك الوقت بما لا يفيد .

ثانياً : البرامج التي تتحدث عن قضية فلسطين ، وبخاصة الحوارية منها ، تثير قضايا ولا تحمل في ثناياها - في الأعم الغالب - معلومات تزيد المتابع لها بصيرة في تحديد مواقفه المبدئية من المسائل المطروحة ، بل ربما شوهت موقفه الأصيل عن طريق ترسيب تراكمات سلبية مع الزمن !! ، وتكون النتيجة المباشرة لهذا الإقبال غير الواعي على برامج الإثارة ، أنها تشغل الوقت والفكر بقضايا تنأى بالمرء عن واجبات تحتاج إلى وقت ، وكم من عامل يتهرب من التزاماته ويعتذر لتعارض نشاطات مع برامج تلفزيونية ، أو بسبب ضيق الوقت عن واجبات أخرى فيتخلى عن نشاطه الإسلامي !! .

ثالثاً : ويزداد حزننا عندما نجد أصحاب الرسالة الهادية إلى الحق يظنون أن معركتهم من الباطل الصهيوني والباطل الاستغلالي النهبي العالمي قد انحصرت في انفعالات وقتية ، أو في تبرعات مالية ، ويبتعدون عن إصلاح الإنسان وتغيير ما بنفسه حتى يغير الله ما بأمتنا والعالم : { ... **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ... } [الرعد : ١١] .

التبرم بالناصحين :

لا تخطيء العين في أن ترى كثرة المنتمين إلى الحركة الإسلامية ، ولكن حين يوسع المراقب النظر فإنه يكتشف أن غالبية الذين يلتزمون بسلوك إسلامي لا يشاركون في النشاطات الإسلامية مع قدرتهم فكراً وجهداً ووقتاً على المساهمة المباشرة في بناء الإنسان الرباني .

ولا ننكر أن التزامهم بالإسلام داخل أسرهم وفي المجتمع يحمل آثاراً دعوية إيجابية ، والذي نناقشه هنا هو الاستفادة من وقتهم وطاقاتهم في عملية الإصلاح والتغيير ، لأن ابتعادهم عن ساحة العمل

المباشر يضعف العمل الإسلامي على مستوى التفكير ، والتخطيط ، والتنفيذ ، وهذا مبعث الحزن والألم ، ولأننا نحب لهم رضواناً من الله أكبر ، ونخاف عليهم من مناقشة الحساب والعتاب .

والملاحظ أن كثرة كاثرة من هؤلاء الإخوة يتحسسون من كل خطبة أو محاضرة أو كتاب أو مجلة تتحدث عن الجهود المعطلة ، أو المشتغلة بأمور غير هامة عن الهام والأهم من القضايا ، وبعض هؤلاء ربما صرح بتبرمه من الناصحين ، وبأسلوب تفوح منه روائح الانتصار للذات ، على الرغم من يغلف التبرم بالحرص والغيرة . وهذه الحساسية تدفع كثيرين إلى الإصرار على ما هم عليه بدلاً من الانعطاف على الذات وتحقيق شروط التوبة في الأمور التي يُلفت نظرهم إليها .

مما سبق ذكره يتضح أن الحركة الإسلامية تنطوي على طاقات كريمة عزيزة ، وأن نسبة عالية ممن أكرمهم الله بعلم وعمل يقصرون في الاستفادة من أوقاتهم ولا يهتمون كثيراً بتنمية معرفتهم وممارساتهم الدعوية والتربوية ، وبهذا يفوّتون على أنفسهم خيراً كثيراً ، ويضعفون جماعاتهم في جوانب متعددة ، وبدلاً من أن ينظروا إلى دورهم في وجود الضعف والتقصير والعجز في الأعمال الجماعية والتربوية ، فإن كثيرين يسلطون ألسنة النقد لمن يعمل ويبذل ما بوسعه ويحقق من النجاحات بمقدار ما يتوفر من فكر وجهد وإمكانات .

وننصح أخيراً بوجوب ملء الوقت بأعمال نافعة تجعل جوابنا يوم العرض على الله تعالى عن عمرنا فيم أمضيناه ؟ بعيداً بعيداً عن الندم .